مخارج الحروف العربية[1]

بحسب ما ذكرهُ سيبويه وابن يعيش

لحضرة الدكتور فرلرس ناظر الكتبخانة الخديوية

ان اول مَن توسَّع في البحث عن اللفظ العربي هو جورج ولين العالم الرحَّالة الاسوجي فانهُ جمع بين اقوال علماء العرب في هذا الموضوع وبين اللفظ العربي الذي سمعهُ في مصر والشام وبلاد العرب . وطُبعت رسائلهُ بين سنة ١٨٥٥ و١٨٥٨ وذلك بعد وفاتهِ . وتناول البحث في هذا الموضوع تشرماك وبروكه العالمان الفسيولوجيان سنة ١٨٥٨ و١٨٦٠ ولبسيوس العالم اللغوي سنة ١٨٦١ . وقد اعتدَّ الكرة على هذا الموضوع بانيًا بحثي على كتاب سيبويه الذي توفي في نحو سنة ١٨٠ للهجرة وكتاب الزمخشري الذي توفي سنة ٥٣٨ للهجرة وشرحهِ لابن يعيش الذي توفي سنة ٦٤٣ للهجرة وهذه الكتب قد طبعت حديثًا في اوربا

وقد ذكر مؤلفو العرب طريقتين للفظ الحروف العربيَّة الواحدة مختصرة غير محكمة والثانية مطوَّلة صحيحة والاولى تنسب الى الخليل بن احمد الفراهيدي صاحب كتاب العين وواضع اوزان الشعر العربي الذي توفي سنة ١٧٥ للهجرة ولم يذكرها تلميذهُ سيبويه . والثانية لا يعلم واضعها . ويظهر لي مما ذكرهُ الزمخشري وابن يعيش عن الطريقة الاولى انها كانت قد أُبدلت في زمانهما بالطريقة الثانية المطوَّلة وهذه الطريقة مذكورة ايضًا في كتب النحو التي ألفها الاوربيون كده ساسي واولد وريط

اما طريقة الخليل فتقسم الحروف بها الى ثماني حيائز (اي دوائر)

الاولى الاحرف الحلقيَّة وهي الهمزة والحاء والخاء والعين والغين والهاء

والثانية اللهويَّة وهي القاف والكاف

والثالثة الذلقيَّة وهي النون واللام والراء

والرابعة الشجريَّة وهي الجيم والشين والضاد

والخامسة النطعيَّة وهي التاء والدال والطاء

والسادسة الاسليَّة وهي الزاي والسين والصاد

والسابعة اللثويَّة وهي الثاء والذال والظاء

(١) خلاصة الخطبة التي تلاها بلندن في مؤتمر اللغات الشرقية في ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٣

والثامنة الشفويّة وهي الباء والفاء والميم والواو

وفي المكتبة الخديويّة بالقاهرة نسخة من كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب لابي حيّان الاندلسي الذي توفي بالقاهرة سنة ٧٤٥ للهجرة وفيه شرح وافٍ لمختلفات المسائل وممّا قيل فيه ان طريقة الخليل في تقسيم الحروف كانت لم تزل متبعة في الاندلس والمعوّل لها فيه ابو الحسن شريح بن محمد الرعيني قاضي اشبيلية واما المشارقة فكانوا قد اهملوها واستعاضوا عنها بطريقة سيبويه المذكورة في كتابه بالتطويل

ومما يجب ذكره في هذا المقام ان سيبويه مات بعد استاذه الخليل ببضع سنوات فقط فلو كان الخليل عارفًا بالطريقة التي ذكرها سيبويه لذكرها هو ايضًا في كتابه . ولم يذكر ان سيبويه هو الواضع لهذه الطريقة و يبعد عن الظن ان طريقة محكمة غاية الإحكام ومفصّلة احسن تفصيل يضعها رجل واحد في برهة وجيزة كالبرهة التي مرّت بين وفاة الخليل ووفاة سيبويه . وذلك كلّه يدعونا الى الظن بان طريقة سيبويه مقتبسة من مصدر آخر كما سيجيء

ومدار هذه الطريقة على الامور الآتية وهي

اولاً التمييز بين الحروف الفصيحة وغير الفصيحة و بين الاصليّة والمشتقة

ثانيًا تمييز الحروف المجهورة والمهموسة

ثالثًا تمييز الحروف الشديدة والرخوة

رابعًا ذكر المخارج الستة عشر

خامسًا تمييز الحروف المطبقة والمنفتحة

سادسًا تمييز الحروف المستعلية والمنخفضة

سابعًا ذكر احرف القلقلة

ثامنًا ذكر احرف الصفير

تاسعًا ذكر احرف الذلاقة

عاشرًا ذكر احرف اللين

حادي عشر الحرف المنحرف وهو اللام

ثاني عشر الحرف المكرر وهو الراء

ثالث عشر الحرف الهاوي وهو الهاء

رابع عشر الحروف المهتوت وهو النون

ومعلوم ان العرب اتصلوا في اول امرهم بشعبين راقيين مراقي العمران وهما اليونان والهنود . وكانت قواعد اللفظ عند اليونان احطّ ما كانت عند الهنود بكثير ولم يكونوا يقسمون حروفهم الى طوائف مثل هذه واما الهنود فكانوا يفعلون ذلك . وقد تقدم انه يبعد عن الظن ان يكون سيبويه قد وضع طريقته في الدرهة الوجيزة التي عاشها بعد استاذه الخليل وابلغها غاية الاتقان ولذلك يرجح انه اقتبسها اقتباساً عن الهنود ناهيك عن انه قد ثبت الآن ان العرب اقتبسوا كثيراً من الهنود على عهد العباسيين في الحساب والطب فلا يبعد انهم اقتبسوا في قواعد اللغة ايضاً بل يغلب على الظن ان طريقة الخليل نفسها مقتبسة عن الهنود ايضاً (لاسباب ذكرها الخطيب ولا محل لذكرها هنا)

وقد ذكر ابن يعيش تسعة وعشرين حرفاً اصلياً فصيحاً وستة احرف مشتقة فصيحة وثمانية احرف غير فصيحة اي انه جعل الحروف كلها ثلاثة واربعين حرفاً . اما سيبويه فجعلها اثنين واربعين حرفاً فقط ولعله ضمّ الهمزة الى الالف . ويظهر ما قاله ابن حيان ان بعض الكتّاب جعل الحروف سبعة واربعين وبعضهم جعلها خمسين حرفاً . وهذا تقسيم الحروف بحسب ما ذكرهُ ابن يعيش

الحروف الفصيحة خمسة وثلاثون الاصليّة منها ٢٩ وهي الهمزة والالف والياء والهاء والعين الى آخر حروف الهجاء . والمشتقة ستة وهي الهمزة التي بين بين والالف الممالة والالف المفخمة والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي والنون التي بالغنّة . والاحرف غير الفصيحة ثمانية وهي الياء التي كالعين والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والصاد التي كالسين والضاد التي كالدال او الطاء او الظاء . والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء (والقاف التي كالكاف) والكاف التي كالجيم

ومخارج الحروف ستة عشر على ما قاله سيبويه والزمخشري وقال ابن حيان ان قطرب والفرّاء والجرمي وابن دريد جمعوا مخارج اللام والنون والراء وجعلوها مخرجاً واحداً فصارت المخارج اربعة عشر . (ثم ذكر الخطيب مخرج كل حرف من هذه الحروف بالتفصيل مما لا نرى لذكره داعياً هنا ولكننا نؤثر عنهُ بعض ما ذكرهُ عن حرف الجيم قال ما خلاصتهُ): ان كتّاب الافرنج قد اختلفوا في لفظ هذا الحرف ولكن يظهر من الامثلة التي ذكرها ابن يعيش ان لفظ الجيم الاصلي لم يكن كما يسمع من لسان اهل مصر الآن فقد نقل عن ابن دريد" ان لفظ الجيم كالكاف لغة في اليمن يقولون في جمل كمل وفي رجل ركل وهي في عوام اهل بغداد فاشية شبيهة باللثغة"

[وشرح الخطيب كيفيّة التلفظ بكل حرف من حروف الهجاء شرحًا مسهبًا مستشهدًا بكلام سيبويه وغيره من ائمة اللغة كقوله في الكلام على لفظ الحروف المطبقة] " فاما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الاحرف لانك لا تطبق لشيء منهنّ لسانك ترفعهُ الى الحنك الاعلى وهذه الاربعة اذا وضعت لسانك في مواضعهنّ انطبق لسانك من مواضعهنّ الى ما حاذى الحنك الاعلى من اللسان ترفعهُ الى الحنك فاذا وضعتَ لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك الى موضع الحروف واما الدال والزاي ونحوها فانما ينحصر الصوت اذا وضعتَ لسانك في مواضعهنّ فهذه الاربعة لها موضعان من اللسان وقد بيّن ذلك بحصر الصوت " انتهى كلام سيبويه [وحث الخطيب في الختام على استطراد البحث في اللغات الساميّة ولفظ حروفها لكي تعلم نسبة اللغة العربيّة العاميّة الى اللغة الفصيحة من حيث اللفظ]

(المقتطف) رأينا بعد ترجمة ما تقدّم ان نضيف اليه كلامًا موجزًا في مخارج الحروف نقلناهُ عن كتاب الجمانة في شرح الخزانة ليظهر منهُ فضل العلماء الذين يردّون كلّ شيء الى اصلهِ ولا يخلطون طريقة زيد بطريقة عمرو . قال صاحب الجمانة " ان مخرج الحرف إمّا الحلق كالحاء . او اللسان كالراء . او الشفة كالفاء . وقد جمع كل ذلك اسم الحرف فانهُ مركّبٌ من الحاء والراء والفاء كما ترى * وقد قسموا الحروف الى طوائف شتّى وجعلوا لكل طائفة منها صفةً تميّزها عن غيرها . وذلك بحسب ما يقتضيهِ لفظها * فمنها مهموسةٌ . وقد جمعوها في قولهم سكت فحثّهُ شخصٌ . قيل لها ذلك لان الصوت لا يقوى حينما يجري معها فيكون فيها نوع خفاء . وما عداها من الحروف مجهورةٌ * ومنها شديدةٌ لشدّة الصوت معها وامتناعهِ عن الامتداد . ويجمعها قولهم أجِدُك قطبت * ومنها متوسطة بين الشدّة والرخاوة لان الصوت لا يمتنع معها ولا يكثر جريهُ ويجمعها قولهم لم يَروِ عنّا . وما عداها رخوةٌ لان الصوت يجري معها بالسهولة * ومنها مُطبَقةٌ لانطباق اللسان معها على الحنك . وهي الصاد والضاد والطاء والظاء . وما عداها منفتحة لانفتاح الحنك معها * ومنها مستعلية وهي المطبقة ومعها الخاء والغين والقاف لان اللسان يستعلي عند النطق بها الى الحنك . وما عداها منخفضة لانخفاض اللسان بها . ويقال لها المُستَفِلة ايضًا * ومنها احرف القلقلة ويجمعها قولهم قطبُ جَدٍّ . قيل لها ذلك لان صوتها اشدّ اصوات الحروف * ومنها احرف الذلاقة اي السرعة في النطق ويجمعها قولهم مَرَّ بنَفَل . والمُصمَتة ما عداها * ومنها احرف الصفير وهي الزاي والسين والصاد قيل لها ذلك لان الصوت معها يشبه الصفير . والاحرف

الشجريّة وهي الجيم والشين والضاد منسوبة الى الشجر وهو مقدّم الفم لخروجها منهُ * ومنها احرف العلّة وهي الواو والالف والياء . وعدّ قومٌ منها الهمزة والاكثرون على انها حرفٌ صحيحٌ يشبه حرف العلّة لقبولهِ التغيير مثلها * ومن احرف العلّة حرف اللين والمدّ . ومن الصحيحة احرف الحلق كما عرفت * وقد افردوا بعض الاحرف بالصفة كالهاوي للأليف . والمكرّر للراء . والمخرف للاّم وغير ذلك * واعلم ان مخارج الحروف التي ذكرناها في اركان المخارج . وقد فرّعوا منها مخارج كثيرة فوق الستّة عشر مخرجًا * وقال بعض المحققين ان حصر هذه المخارج على سبيل التقريب والتساهُل . والاّ فالحقُّ ان لكل حرفٍ من الحروف التسعة والعشرين مخرجًا بخصُّهُ لا يشارك فيهِ غيرهُ . ولولا ذلك لم يتميّز بعضها من بعض . وهو غير بعيدٍ عن الصواب "

البحث عن لغة القرود

ذكرنا منذ بضعة اشهر ان الاستاذ غرنر ازمع الرحيل الى اواسط افريقية للبحث عن لغة القرود في مواطنها وقد اطلعنا الآن على مقالة وصف بها المعدّات التي اعدّها لذلك فرأينا ان نلخص منها ما يأتي قال

ان غرضي الاول من الرحيل الى افريقية ان اجد وسيلة الى اكتشاف اصل اللغات وهو ما عجز عنهُ الباحثون حتّى الآن وهناك اغراض اخرى تتعلق ببعض المسائل العلميّة ولكنها ثانويّة بالنسبة الى هذا الغرض . ولا انتظر ان اجد للقرود لغة محكمة لكن ان تكون اصواتها كافية لاغراضها الطبيعيّة ومختلفة باختلاف احوالها . وساكتب بواسطة الفونوغراف كلام القبائل المتوحشة الساكنة بجوارها لأرى ما بينهُ وبين كلام القرود من المشابهة والمخالفة . واصور القرود وهي تصوت باصواتها المختلفة وقتما اطبع اصواتها بالفونوغراف حتّى اذا عدتُ واردتُ درس لغاتها ارى ملامح وجهها حينما اسمع اصواتها

وساخذ معي آلة فونوغرافيّة معدّة لهذه الغاية وآلات كهربائيّة كثيرة واهم الادوات التي ساخذها معي قفص صنعتهُ لهذه الغاية وهو من اسلاك الفولاذ المتينة وفيهِ ٢٤ قطعة وكل قطعة طولها ثلاث اقدام وثلاث عقد وعرضها كذلك فاصنع منهُ بيتًا اقيم فيهِ في الحراج التي تتردّد القرود عليها حتّى اكون على مرأًى منها ومسمع وانتي بهِ هجمات الضواري واحفظ فيهِما اخاف عليهِ من اللصوص . وعندي آلة كهربائيّة توصل الكهربائيّة بهِ فيتكهرب